دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	الخصائص التخطيطية والمعمارية للمدينة العربية الإسلامية التقليدية دراسة تطبيقية لمدينة النجف القديمة
المصدر:	مجلة البحوث الجغرافية
الناشر:	جامعة الكوفة - كلية التربية للبنات
المؤلف الرئيسي:	البغدادي، عبدالصاحب ناجي رشيد
المجلد/العدد:	ع 3
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2002
الصفحات:	213 - 244
رقم MD:	193978
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	HumanIndex
مواضيع:	العالم الإسلامي ، مدينة النجف ، العراق ، التخطيط العمراني ، المدن ، العالم العربي ، الحضارة الإسلامية ، التنظيم الإداري ، الأحوال الاجتماعية ، الأحوال الاقتصادية ، المساجد ، الأحياء السكنية ، الأسواق ، تاريخ العراق ، التصميم المعماري ، النشاط التجاري
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/193978

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

الخصائص التخطيطية والمعمارية للمدينة العربية الاسلامية التقليدية

(دراسة تطبيقية لمدينة النجف القديمة)

أ.م.د. عبد الصاحب ناجي البغدادي
كلية الآداب- قسم الجغرافية
جامعة الكوفة

المقدمة:

شجعت الحضارة الإسلامية على إقامة المدن والتجمعات الحضرية، فأسست مدن إسلامية امتزجت فيها مفاهيم الإسلام وتعاليمه بدءاً بأول مدينة وضع الرسول الكريم محمد (ص) أسس تخطيطها (وهي المدينة المنورة) حيث احتل المسجد الجامع قلب المدينة ومن حوله أحياء الأنصار والمهاجرين، ووضع لكل حي مسجدا وسوقا ومنشأة صحية وخدمية، وتتصل هذه الأحياء بطرقات عامة تنتهي اغلبها إلى مركز المدينة وبالتحديد عند مسجد النبي (ص) ...

ان هذه الصورة تبين الظواهر الحضرية urban لأول مدينة إسلامية وقد شملت الأبعاد التخطيطية والتصميمية والبيئية وكانت انعكاسا للوضع الاجتماعي في المجتمع الإسلامي، وقد تبع ذلك بناء العديد من المدن كالبصرة والكوفة والفسطاط وغيرها اعتمدت في تخطيطها على تلك الظواهر الحضرية التي تعد اليوم مفاهيم تراثية نستل منها كثيراً من الخصائص التخطيطية والمعمارية. واننا اذ نتناول هذه الخصائص في هذا البحث بوصفها مثالا يصور خصائص متشابهة في عصور مختلفة، من أهمها أن النسيج الحضري للمدينة الإسلامية ذو تكوين عضوي

يرتبط فيه التكوين الفضائي بالتكوينات المعمارية للمباني وهذه السمة يشعر بها الداخل إلى المدينة لارتباطها بالمقياس الإنساني ولإحساسه بالحجوم والفضاءات التي تكون المظهر الداخلي للمدينة، فضلا عن انسجام التنظيم المكاني مع التنظيم الاجتماعي، وهذا ما نفهمه من خلال انسجام العناصر الحضرية في المدينة الإسلامية كالمساجد والأسواق والمحلات السكنية وغيرها مع بعضها بعضا مكونة نسيجا يعبر عن مفهوم التجانس الاجتماعي.

ولقد اختيرت مدينة النجف القديمة، في هذا البحث، إنموذجا للدراسة التطبيقية وهي المحصورة ضمن حدود الشارع الحلقي الذي انشأ على الموقع القديم تقريبا لسور المدينة السادس الأخير، لخصوصيتها واهميتها الدينية والتاريخية فضلا عن انها أنموذجا جيدا وخاصا مكانيا واجتماعيا للمدينة العربية الإسلامية التقليدية، ولكونها من بين اهم المراكز التاريخية التي تواجه العديد من الضغوط والمشكلات التي تعرض نسيجها الحضري التقليدي للتدهور والانحسار.

١ـ المدينة العربية الإسلامية التقليدية:

تعتمد الرؤية الإسلامية للمدينة على ما تحققه من هدف وقيمة، فقد ذكر ابن خلدون المفكر الاجتماعي العمراني في مقدمته تفصيلات كثيرة عن كيفية نشأة المدن وتطورها وكان يرى أن تطور المدينة يكون من جهة، وكنتيجة حتمية للمدينة من جهة أخرى وقد أوضح اصل وجوهر المدينة الإسلامية على النحو الآتي: ((تعتبر المدن كنتائج لظهور السيطرة الملكية، وهذا يتضح بالقول أن البناء وعمران المدن هي مظاهر طبيعية لحضارات ظهرت في العصور الذهبية وفترات الازدهار وحالات السلم، وكان امتدادا طبيعيا لهذه الحضارات))[1].

فيما تعرضت كتب الفقه الإسلامي بتفصيل شامل ودقيق إلى سياسة البناء في المدن من جميع جوانبها، فيما يتعلق بالحقوق والواجبات للسكان بين بعضهم بعضا وبينهم وبين السلطة، ومسؤولية السلطة في تأمين الخدمات في المدينة. كما تعرضت كتب الحسبة إلى مواصفات البناء من حيث القوة والمتانة وتفاصيل المعاملات بين أصحاب البناء والمتعهدين وحددت عقوبات لكل مخالفة في هذه

المجالات[٢]. وفي هذا دلالة أكيدة على شمولية الفكر الإسلامي في مجال العمران، فهو يضع القواعد والأسس التي تشكل السياسة العامة للعمران، ولذلك كانت المدينة الإسلامية شاملة للتراث الإسلامي بكل جوانبه المادية والمعنوية، وكان لها خصائصها التي ميزتها من المدن عند الأمم والحضارات الأخرى[٣].

ولقد تظافرت عدة عوامل أدت إلى ظهور المدن العربية الإسلامية وازدهارها منها[٤]:

أ- العامل الطبيعي (الموضع والموقع).
ب- العامل الديني.
جـ - العامل الدفاعي (العسكري).
د- العامل الإداري (السياسي).
هـ- العامل الاقتصادي (خاصة التجاري).
و- العامل الاجتماعي.

وعلى الرغم من تأثر التخطيط بهذه العوامل المختلفة تأثرا واضحا ولاسيما في مراحل النشأة الأولى، إلا انه بصفة عامة يقوم على محاور اساسية توجه توجيها اسلاميا واضحا صاغ تخطيط المدينة الإسلامية صياغة مميزة، وجعلها على الرغم من اختلاف أقاليمها وعصورها متشابهة في تخطيطها وتكويناتها المعمارية.

ويبدأ تخطيط المدينة الإسلامية باختيار موقعها situation ونعني بذلك موقع المدينة وعلاقتها بما يحيط بها. وقد وردت الاعتبارات التي يجب مراعاتها في اختيار موقع المدينة في مراجع كثيرة من التراث العربي الإسلامي كان اشهرها ما ورد في كتاب (سلوك المالك في تدبير الممالك على التمام والكمال) للعلامة شهاب الدين احمد بن محمد بن ابي الربيع الذي حددها بستة شروط هي:

١- سعة المياه العذبة.
٢- التأمين الغذائي.
٣- اعتدال الجو وجودة الهواء، بعيدا عن مناطق ركوده الذي يساعد على تعفن

الاجسام وانتشار الحميات.

٤- القرب من اماكن الرعي و الأشجار.

٥- التحصين ضد غارات الأعداء والطامعين.

٦- تزويد المدينة بسور للحماية مع الإشارة إلى ان دواعي أسباب إنشاء الأسوار تختلف مع اختلاف أسباب إنشاء المدن وظروف إنشائها مضافا إلى اختلاف مواصفات مواقعها ومواضعها [٥].

وعندما ينتقل الموضوع إلى تخطيط المواضع sites يحدد ابن ابي ربيع ثماني شروط هي:

١- إمكانية سوق الماء العذب اليها.

٢- إمكانية توزيعه ضمن احياء المدينة ليحصل أحدهم على حاجته منه بسهولة.

٣- تحقيق التناسب والتوازن في شوارع المدينة وطرقها.

٤- إقامة مسجد للصلاة في وسط المدينة بحيث يكون المسجد الرئيس.

٥- توزيع صحيح للأسواق بالتناسب مع عدد السكان بحيث يخدم السوق عشرة الاف مواطن مثلا.

٦- توزيع القبائل الساكنة في مواقع مختلفة بحيث لا يختلط مجموع القبائل ضمن المدينة في السكن.

٧- ضرورة إحاطتها بسور للحماية.

٨- ان تضم المدينة قدرا كافيا من الحرفيين والصناع، وتقام عادة بعض المنشأة الصناعية التي تسبب الدخان والروائح الكريهة (مدابغ) والصوت المزعج (حدادة) في أطراف المدينة[٦].

ويكشف هذا التناول مضافا إلى اعتبارات التخطيط التي أشرنا إليها عند اختيار الموقع عن ان تخطيط المدينة الإسلامية التقليدية اهتم بالجوانب العمرانية والاقتصادية والاجتماعية. ان هذه الجوانب المختلفة برز تأثيرها - كما سيتضح - في العناصر التي حكمت تخطيط المدينة الإسلامية.

١ - ٢ العناصر الأساسية للمدينة العربية الإسلامية التقليدية:-

يرى بعض الباحثين الأجانب ان العناصر الأساسية للمدينة العربية الإسلامية هي[٧]:

المسجد – السوق – الحي السكني.

وضمن هذا التصنيف نرى غيابا للابنية الحكومية اوالادارة الذاتية المحلية وما يعبر عنها اصطلاحا بدار الامارة. بينما يحدد كثير من المعماريين والباحثين في تاريخ المدينة الإسلامية المحاور الرئيسة بالترتيب كما يأتي:

المسجد الجامع – دار الامارة – الحي السكني.

ويرى الباحث ان يكون الترتيب على الشكل الاتي:

المسجد الجامع – دار الامارة – الاسواق – المناطق السكنية.

وهذه العناصر تختلف بين مدينة واخرى قوة وضعفا، الا انها تبقى المحاور والتكوينات المعمارية الأساسية والثانوية للمدينة العربية الإسلامية، وهي ترتبط مع محاوراخرى ذات علاقة بتطور المدن الإسلامية

أ) المسجد الجامع:

المسجد الجامع من التكوينات المعمارية الأساسية بالمدينة الإسلامية، ويمثل محورا رئيسا من محاور تخطيطها، اذ كان الشيء الاول الذي يتم تخطيطه ومن حوله كانت تخطط احياء المدينة واليه تنهي شوارعها وازقتها، لذلك احتل موقعا وسطا حتى يصل الناس إليه بيسر وسهولة من انحاء المدينة كافة، كما انه العنصر المنظم organizang لمكونات الهيكل الحضري والمهيمن على خط السماء ولا تتجاوزه أية بناية ارتفاعه. وبتوسع رقعة المدينة العمرانية وازدياد سكانها ونضج محلاتها السكنية ظهرت الحاجة إلى إنشاء مساجد بمرتبة ثانية او ثالثة ضمن الأحياء السكنية.

ب) دار الامارة:

في الوقت الذي يؤكد فيه الباحثون الغربيون (أمثال جرينباوم Grunebaum) على ان المدينة الإسلامية تخلو من الوظيفة الحكومية، فاننا نجد ان دار الامارة هي التي تمثل هذه الوظيفة، وانها مع المسجد الجامع وقصرالحاكم والدواوين تقع كلها في قلب المدينة باعتبار انها جميعا تمثل مركز الادارة في المدينة [٨] وهذا يبرز أهمية المدينة الإدارية من جهة، ويؤكد على ان المدينة الإسلامية كان لها جهازها الإداري الذي يشرف على جميع شؤونها.

جـ) الأسواق:

الأسواق من اهم العناصر التخطيطية التي ارتبطت بالمكان و الإنسان في المدينة الإسلا يم التقليدية، وقد اتسمت بسمة الاستمرار العضوي في نطاق الكيان الطبيعي للمدينة. وكانت تتركز في المنطقة المحيطة للمسجد الجامع، وتمتد باتجاه محاور الحركة الرئيسة المتجهة نحو بوابات المدينة، وبعد نمو ونضج المدينة استدعت الضرورة وجود انماط ثانوية من التراكيب التجارية لتقدم افضل الخدمات للسكان وبيسر وفق نظام متسلسل ومتدرج Hierarchy.

وقد اتخذت الأسواق والمنشأة التجارية في المدينة الإسلامية اتجاهين رئيسين من ناحية التكوين المعماري. الاتجاه الأول: مجموعة من الحوانيت تطل على مساحة مكشوفة في الوسط وظهرها إلى الخارج، وتعلو هذه الحوانيت وحدات سكنية، والاتجاه الثاني: هو نمط الحوانيت المتراصة على جانبي الشارع الرئيسي والشوارع الفرعية المتسعة، وهذا النمط يرتبط وجوده بالشوارع النافذة، وصنفت حوانيته تصنيفا تجاريا يمنع وقوع الضرر، ويمكن من مراقبة الاسواق ويسهل على المشتري الوصول إلى حاجته، ويدفع إلى التنافس[٩].

عموما تتصف هذه الأسواق بملاءمتها بأستجابتها لمتطلبات المناخ لانها مغطاة ومسقوفة مما يشكل حماية من اشعة الشمس في اوقات الصيف فضلا عن امتيازها بارتفاع الرطوبة النسبية وانخفاض الحرارة مما يخفف وطأة المناخ الخارجي، مضافا إلى حماية المتسوقين من الأمطار في فصل الشتاء. كما تتصف

بالتخصص وهي انعكاس للملاءمة الوظيفية، حيث تتجاور فيها الحرف والانشطة المتجانسة، وتتباعد الصناعات والانشطة المتنافرة التي يخشى من بعضها على بعض، حيث يتم تقسيمها حسب موقعها ضمن النسيج الحضري للمدينة الإسلامية ومدى اقترابها من المسجد الجامع.

اما شبكة الحركة والمرور في المدينة الإسلامية فان عملية تنظيمها كان ينطلق من اعتبارات الشوارع الرئيسة والثانوية والعامة والخاصة[١٠]، اذ انها تعكس حياة الحرية التي عاشها المجتمع الإسلامي وما يصاحبها من علاقات وقوانين إسلامية كالبيع والشراء وعوامل الجوار ... الخ.

عموما تربط هذه الشوارع والطرقات ما بين المناطق السكنية والمساجد والاسواق فالشوارع الرئيسة تنطلق من المسجد الرئيس الذي يشكل نواة المدينة وتستمر حتى أطراف المدينة وعلى جوانب الشوارع الرئيسة تتوزع التكوينات المعمارية المختلفة، ومنها تتوزع الشوارع الثانوية العامة التي تربط المحلات السكنية المتجاورة مع بعضها او تخترقها، وبدورها ترتبط بها مباشرة شوارع فرعية شبه عامة تمتد إلى المحلات السكنية حيث تكون ضيقة وملتوية ويرجع ذلك لعدة اسباب منها: ظروف تخطيطها بما يحدث فيها من تغيرات في التكوينات المعمارية التي تتطلب فتح طرق جديدة تتفرع من الطريق فتضيق التفريعات ويتكرر التواؤها، وهناك عوامل هامة تؤثر في تحديد مواضعها مثل حركة الشمس واتجاه الرياح، وهناك اعتبارات مساحية اثرت في طريقة تقسيمها وتدرجها واتجاه الشوارع فيها، ومنها ما هو مرتبط بظروف التجاورات السكنية والطرق الأخرى مضافا إلى الرغبة في توفير الخصوصية لساكنيها.

في حين أنّ هناك نوعاً ثانياً من الطرق داخل المحلة السكنية وهي (الطرق الخاصة) ذات النهايات المسدودة والمغلقة، وتترك حرية تخطيطها وتحديد مقاييسها للساكنين وهي عبارة عن ملكية مشتركة لأصحاب الدور المحيطة بها.

وبخصوص جمالية الشوارع ونسبة مقاييسها نجد ان علاقة الشارع بالانسان علاقة انسانية معاصرة تشعر بكيانه، فهو يسيطر عليها سيطرة كاملة على عكس ما نجده في الوقت الحاضر في شوارع المدينة المعاصرة، حيث يسيطر الشارع على الانسان وحركته، وان الانسان ينتقل فيها من شوارع فسيحة إلى منزله الخاص الصغير مما يجعله يحس بالضيق، في حين تحقق المدينة الإسلامية لساكنيها انتقالا منطقيا من شارع ضيق يحس معه بالالفة والحماية إلى منزل رحب ينطلق فيه بحرية[١١].

د- المناطق السكنية:

تشغل المناطق السكنية في المدينة الإسلامية التقليدية ٣/٢ من مساحتها الكلية[١٢]. وهي عادة تكون موزعة على شكل محلات سكنية واقعة على شوارع وأزقة ملتوية. اذ ان فكرة التخطيط العربي الإسلامي تقوم على تقسيم المدينة إلى محلات سكنية تسكنها عشيرة واحدة، نتيجة لتأثير النظام الاجتماعي القبيلي، حيث تشكل هذه المحلات منظومات عضوية متكاملة ضمن المدينة الواحدة، فالمدينة العربية الإسلامية في إطارها العام تعمل وحدة واحدة مترابطة لها مركز واحد تعود اليه الطرقات الرئيسة، لكنها ايضا مقسمة إلى مجموعات اصغر هي المحلات، وهذا التقسيم يحقق اغراضا انسانية وامنية وعملية، في المحلة الواحدة تسكنها مختلف الطبقات، كما ان لكل محلة مركز خدماتها الخاص الذي يقع ضمن مسافة المشي وهو يحتوي على سوقها وصناعاتها الحرفية ومسجدها المحلي وشوارع مستقيمة تربط المحلة ببعضها بعضاً وتصلها ببقية مناطق المدينة، إذ ان المبدأ الأساس في تخطيط وتصميم النمط العمراني الإسلامي هو ابعاد التوازن بين الخصوصية المطلوبة للاسرة والتلاحم المطلوب للمجتمع ككل. اذن فالمنهج التخطيطي الحضري في المدينة العربية الإسلامية، وخاصة في مناطقها السكنية كان يتركز في التعبير عن الحياة الاجتماعية ومدى تطورها، فضلا عن تركزها على الناحية المناخية، اذ اننا نجد ان احد ابرز مميزات هذه المناطق السكنية عبارة عن بيوت متراصة بعضها مع بعض

ومتماسكة في وحداتها البنائية (نسيج عضوي متضام)، ولم يأت هذا عفويا او عن طريق الصدفة بل ان المخطط العربي ادرك تمام الادراك قسوة المناخ وتطرف عوامله وابتعاده بشكل كبير عن حدود الراحة [١٣].

١ – ٣ الرؤية التخطيطية للمدينة العربية الإسلامية التقليدية:

ان ما تقدم من تفاصيل للمدينة الإسلامية (المسجد الجامع، دار الإمارة، أسواق، مناطق سكنية) وما يتبعها مرافق عامة اخرى يؤكد وجود رؤية تخطيطية للمدينة الإسلامية، اهتمت بالجوانب الوظيفية والاجتماعية والسياسية لمجتمع المدينة الإسلامية مما يؤكد اصالة المدينة الإسلامية وعمق الفكر الإسلامي ورؤيته السليمة في تخطيط المدن، وهو فكر تبلور ونضج مع تقدم العصر، مستفيدا في ذلك من التجربة. وهذا بحد ذاته يشكل ردا على التهم التي وجهها بعض الباحثين المستشرقين[١٤]، بان ما يميز المدينة العربية الإسلامية هي الفوضى في التخطيط وعدم وجود وحدة تركيبية وانها ضعيفة التماسك. وهنا لابد من القول إنَه عندما يراد الكلام عن ملاءمة التركيب الداخلي للمدينة العربية الإسلامية التقليدية لسكانها على الباحث ان يفحص الأمر ليس فقط في ضوء الظروف الحالية وانما ليدرك تأثير تكيف الانسان لبيئته في عمره، لهذا فان الفرق لايقع فقط في نوع تركيب المدينة ولكن في الطريقة التي تعمل في حل ظروف البيئة في زمانهم وبالشكل الملائم، لهذا وقد تعتبر المدينة العربية الإسلامية التقليدية غير ملائمة من وجهة نظر الاتصال السهل وحركة مرور السيارات الحالية، بينما يرى آخرون أنَ ذلك سمة خاصة للمدن التقليدية[١٥]. لهذا وقد يبدو للبعض ان المدينة العربية الإسلامية قد نمت بالصدفة وبشكل غير منتظم، ولكنَ الواقع يشير إلى أنها تمثل انسجاما وظيفيا كما اتضح في اعلاه حيث ظهر من دراسة المدينة الإسلامية أن النسيج العمراني الإسلامي جاء نابعا من معيشة السكان ونتيجة رغباتهم ولم تفرض عليهم اشكال مدنهم ولكن النواة اولا واخيرا كانت المسجد الذي ألتف حوله العمران.

٢ـ مدينة النجف القديمة – نظرة تاريخية:ـ

تقع مدينة النجف على خط طول ١٩ ٤٤ شرقا وخط عرض ٥٩ ٣١ شمالا فيما يتصف موقعها بالنسبة للمعمور العراقي بأنها تقع على الهامش الجنوبي الغربي للمعمور، اذ يتحدد عند اقصى الطرف الجنوبي الغربي للقسم الشمالي من السهل العراقي وعند الحافة الجنوبية للصحراء الغربية على بعد (١٠) كم إلى غرب نهر الفرات مشرفة على منخفض بحر النجف، وتقع جنوبي غربي العاصمة بغداد وعلى (١٦٠) كم، وتقع عن مستوى سطح البحر بنحو (٦٠) مترا. اما موضع مدينة النجف القديمة فيتمثل بربوة مرتفعة تطل من الجنوب الشرقي على بساتين واراض سهله وهي محل بحيرة النجف، وتطل من جهتي الشمال والشمال الشرقي على فضاء فسيح يمثل المقبرة، واما من جهة الغرب فانها تمثل ارض جرداء تمثل الصحراء الغربية، ومن جهة الشرق فانها تمثل ارض زراعية باتجاه الكوفة. وموضع النجف هذا جعلها هامشية تؤدي اليها الطرق من جانبها الشرقي فقط وتفتقد إلى المزايا التي تتحلى بها المدن ذات المواقع المركزية.

وقد برزت اهمية النجف عند ظهور القبر الشريف للامام علي بن ابي طالب(ع) فنشأت العمارة حول المرقد سنة (١٧٠) هـ، وتواردت على النجف قوى ومؤثرات حضارية ودينية وسياسية مختلفة اثرت في مراحل تطورها وتركت ملامحها في طبيعة نمو النسيج العمراني للمدينة، كان ابرزها العامل الديني التاريخي إذ يعد العامل الأساس والفعال في نشأتها وتوسعها وتطورها واعطائها صفات المدينة الدينية الحقيقة، وظهرت مع تعاظم اهميتها أيام مخصوصة وغير مخصوصة لزيارتها. ويمكن ايجاز مراحل تطور مدينة النجف القديمة بما يأتي[١٦] :

المرحلة الاولى:– وتمتد منذ نشأتها حتى عام ١٧٦٥م، حيث نشأت المساكن اول الامر في منطقة شمال المرقد الشريف في عام ٧٨٧م، وهو ما يعرف اليوم بـ (المشراق)، ثم أخذت المساكن تمتد غرب المرقد وجنوبه، فظهرت محلات

سكنية كمحلة الرباط (العمارة)، والجية (الحويش)، والزنجبيل (البراق). وقد حصنت المدينة خلال هذه الفترة بخمسة أسوار لم يعثر على تاريخ بناء السور الأول والثاني، أما الثالث فقد شيد بعد أن توسعت المدينة في عام ٩٨٢م، فيما شيد السور الرابع عام ١٠١٠م وبه اتخذت شكلا دائريا طول محيطها ١٢٥٠ مترا، أما السور الخامس فشيد عام ١٦٢٩م وبه اتسعت النجف واصبح طول محيطها ١٧٢١ مترا حيث أخذت المساكن تدور حول المرقد، فظهرت محلات سكنية جديدة كمحلة العلا وآل جلال (المشراق) ومحلة البركة (البراق)، فيما أخذت المحلات السابقة بالتوسع الكامل. وهذا ما تؤكده الخارطة التخطيطية التي وضعها نيبور في عام ١٧٦٥م [١٧]. والتي أوضحت ان الجوانب السكنية من النجف هي الجانب الشمالي حتى (جبل الديك)، والغربي حتى (جبل شرف) وجزء غير واسع من الجنوب والشرق - انظر إلى الخارطة رقم (١). وكان عدد السكان في هذه المرحلة يقارب (٦٠٠٠ نسمة) وبلغت فيها مرحلة مزدهرة من العمران في الأسواق والاسكان[١٨] وبهذه المرحلة دخلها الرحالة (ابن بطوطة) عام ١٣٢٦م، ووصفها بأنها مدينة حسنة في ارض فسيحة من احسن مدن العراق واكثرها أناسا واتقنها بناء، ثم وصف اسواقها بقوله: استقبلنا سوق البقالين ثم سوق العطارين .... وهذا يعني ان المدينة كانت تمتاز بالتخصص المهني منذ القرن الثامن الهجري.

المرحلة الثانية: وتمتد من عام ١٧٦٥م حتى عام ١٩٢٥م، حيث نمت فيها النجف واستقرت عند حدود سورها السادس الاخير. فقد هدم السور الخامس وتوسعت المدينة نحو الاطراف، ثم شيد سورها السادس الاخير عام ١٨١١م إذ تبلورت فيها استعمالات الأرض المختلفة، المناطق السكنية المتراصة وشبكة الحركة (الازقة الضيقة) والاسواق المسقوفة والمساجد والمدارس الدينية والمقابر...، كما تبلورت فيها منطقة مركزية حول المرقد الشريف تضم منطقة لتجارة الجملة والمفرد وتتجمع فيها وحولها المدارس الدينية والمساجد والمقابر.

٢-١ الخصائص التخطيطية والمعمارية لمدينة النجف القديمة: -

يتضح من النشأة التاريخية لمدينة النجف القديمة ان النسيج العمراني كان نتاج للفترات التاريخية التي مرت بها المدينة وكذلك للبيئة الطبيعية التي تتفاعل معها، مما يدل على ان عملية استعمالات الأرض جاءت تعبيرا لتلبية حاجات المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية التي مربها المجتمع في المدد التاريخية المتعاقبة. فمدينة النجف نمت عبر مراحل تطورها حول المرقد الشريف، وكان شأنه شأن المسجد الجامع في المدينة العربية الإسلامية فهو الاساس التنظيمي لعمران المدينة ومن حوله خططت مواضع الاسواق والمناطق السكنية والانشطة الأخرى.

تشغل مدينة النجف القديمة مساحة تقدر بـ (٦٥,٨٨ هكتار) تشكل نسبة ١٪ من مساحة مدينة النجف الكبرى[١٩] (عدا مساحة المقبرة العامة والمنطقة العسكرية) وقد بقيت محدودة المساحة ومسورة إلى اكثر من الف سنة، ثم تجاوزت سورها السادس الاخير وانفتحت على الفضاءات المحيطة بها بعد تهديمه سنة ١٩٣٨م. وهي تشمل كلا من المنطقة الدينية (الضريح) والمنطقة التجارية (السوق الكبير) والمناطق السكنية المتمثلة بالمحلات السكنية الاربعة (المشراق والبراق والحويش والعمارة)، وقد توزع السكان فيها بطريقة متجانسة لتحقيق سهوله الاتصال بالمرقد الشريف حيث تشعبت معظم الطرق الرئيسة لتقود المحلات السكنية تلك من منطقة الصحن، وغالبا ما واجهت هذه الطرق الرئيسة أحد ابواب الصحن ومن هذه الطرق الرئيسة تشعبت الطرق الفرعية والازقة التي اخترقت المحلات السكنية. (انظر الخارطة رقم ٢ ورقم ٣).

يشير التركيب الداخلي لمدينة النجف القديمة من النظرة الأولى إلى التداخل الكبير بين استعمالات الأرض للاغراض الدينية والتجارية والادارية، وهذا التداخل كان منطقيا في الماضي عندما كانت نشاطاتها الدينية والتجارية والسكنية والادارية مرتبطة ارتباطا وظيفيا مما حقق الاستعمال الامثل لارض المدينة المحددة بسورها. لقد ادت حركة النمو والتوسع العمراني الكبير في مدينة النجف الكبرى

إلى الضغط على الهيكل العمراني القائم في المدينة القديمة (المركز التاريخي) من خلال التغير في استعمالات الأرض الحضرية بدوافع تخطيطية او عمرانية مما اثر بشكل كبير على هيكلها الحضري التقليدي سواء أكان ذلك من خلال مشاريع التطوير [٢٠] . (لاحظ خارطة رقم ٤) التي تجري بشكل قفزات وعلى مقياس واسع، أم من خلال الإضافات العمرانية الجديدة المرتفعة وتحوير الابنية والاشكال القائمة، خاصة ما تفرضه امكانية الوصول (Accessibility) بسبب عدم ملاءمة هيكلها الحضري مع متطلبات حركة المركبات، مما دفع الاجهزة التخطيطية إلى شق الشوارع المستقيمة والعريضة خلال المدينة مثل شارع الصادق وزين العابدين والرسول والطوسي وغيرها ممزقة بذلك نسيجها التقليدي وتجزئته إلى اجراء متناثرة تفتقر إلى وحدة التكوين والارتباط، مضافا إلى فقدان عدد من العناصر التقليدية لنسيجها نتيجة الهدم الواسع النطاق والتفريط ببيئة الرموز والشواخص وبعض الابنية التراثية، واصبح فيه المرقد الشريف معزولا عن محيطه الحضري الذي كان يحيط بجدرانه احاطة تامة فضلا عن ان الاستمرار في تشييد الابنية المرتفعة سوف يؤثر على ابراز سمات التكوين الفضائي للمدينة المتمثل باضعاف هيمنة المرقد على خط سماء المدينة تدريجيا.

بشكل عام فإن الخصائص التخطيطية والمعمارية لمدينة النجف القديمة ستتوضح من خلال التطرق إلى تركيبها الداخلي. فهناك اربعة استعمالات رئيسة تهيمن على تكوين المدينة الان وتحدد ملاح شخصيتها الحضرية كانعكاس لمكانتها الدينية وهي:

استعمالات الأرض الدينية:

يعد المرقد الشريف والمقبرة العامة من أهم العناصر المكونة لاستعمالات الأرض الدينية وأبرزها فضلا عن العديد من الأبنية الدينية التي تشمل المرقد والمساجد والجوامع والحسينيات والمقابر والمقامات والمدارس الدينية. ولقد شكل هذا الاستعمال عام ١٩٨٧ نسبة قدره ١٧.٧٪ من المساحة الكلية للمدينة القديمة، في

حين انخفضت النسبة إلى ٣.٣٪ عام ١٩٩٧ وذلك بسبب إجراءات الاستملاك لأغراض مشاريع التطوير والتجديد الحضري فيها[٢١].

المرقد الشريف:-

يعد المرقد الشريف من ابرز الشواخص والنصب المميزة في العالم الإسلامي، ويحتل مساحة وسط المدينة القديمة بلغت(٦٣١٣) م٢. وهو محاط بسور رباعي ضخم طول كل من ضلعيه الشرقي والغربي(٨٤) م وطول ضلعه الشمالي (٧٤) م وطول ضلعه الجنوبي (٧٥) م ولا يقل ارتفاعه عن (٣٥) م. ولهذا السور خمسة ابواب ذات اسماء خاصة هي (باب الطوسي، وباب القبله، وباب القاضي، والباب الكبير، والباب الصغير) ويهيمن المرقد على خط سماء المدينة وهو العنصر المؤثر في تكوينها بصريا ووظيفيا لما يتمتع به من الاهمية النفسية والروحية والدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

المقبرة العامة:-

تعد المقبرة العامة التي تسمى بـ (وادي السلام) من اوسع المقابر في العالم إذ تشغل حاليا في مدينة النجف الكبرى مساحة تبلغ (٩١٦.٨) هكتارا مشكلة نسبة ١٢.٢٢٪ من المساحة الكلية للمدينة. وتحيط المقبرة القديمة[٢٢] بالمدينة القديمة من الشمال والشمال الشرقي، وهي تمتاز بتربتها الرملية الناعمة النقية وجفافها التام لأنها جزء من الهضبة الصحراوية الجافة، وتوجد تحتها ما بين (٢٠- ٢٥) سم طبقة صخرية متكونة من صخور رملية قوية تسمح لحفر (القبور) فيها بصورة عمودية. وان لهذه المقبرة اهمية دينية كبيرة على المستوى القطري والعالمي.

استعمالات الأرض السكنية:-

يشغل الاستعمال السكني الصافي نسبة عالية من بين مجموع استعمالات الأرض الأخرى في مدينة النجف القديمة بلغت ٣٢.١٦٪ من المساحة الكلية عام ١٩٩٧ بعد ان كانت نسبتها ٥٧.٥٪ عام ١٩٨٧. وهذه المدينة شأن أية مدينة عربية

إسلامية يتكون نمط الاستعمال السكني فيها من نسيج عضوي متضام ذي كثافة سكانية صافية مرتفعة بلغت ٥٢٠ شخص/هكتار تفصل الازقة الضيقة والممرات الملتوية بين مساكنها. ويعد هذا التكوين (كما هو معلوم) اقل استجابة للعوامل المناخية القاسية، وانه يستطيع توفير مناخ محلي (Micro climate) ألطف بكثير من المناخ الإقليمي المحيط به، حيث يوفر الحد الاعلى من الظلال والحد الادنى من انعكاسات اشعة الشمس في الفترة الحارة (over Heated period) وان يوفر حدا معقولا من اشعة الشمس في الفترات الباردة وكذلك يقلل من تأثير الرياح والغبار[٢٣].

تتكون المناطق السكنية في مدينة النجف القديمة على أية حال من مجموعات سكنية ذات أفنية [٢٤]تعمل كارتباطات ضمن المدينة في الوقت نفسه الذي تعمل فيه بوصفها اماكن للفعاليات الاجتماعية توصل بينها أزقة وممرات، ولهذه الازقة والممرات طابع خاص مميز وتعد امتدادا لواجهات المساكن المطلة عليها، وتوجد المؤسسات العامة مثل المدارس والمساجد وغيرها موزعة داخل المناطق السكنية. وان مساكن هذه المناطق تشغل مساحة صغيرة لاتتجاوز (٨٠) متر مربع مؤلفة من طابق واحد أو طابقين تميزت بطرازها العربي الاصيل (التقليدي) الذي تميز بخصائص تخطيطية ذات طابع واحد [٢٥].

والجدول الاتي رقم (١) يبين المؤشرات العامة عن الحالة السكانية والسكنية للمناطق السكنية في مدينة النجف القديمة وعند مقارنتها مع سنوات سابقة يلاحظ انها في انخفاض مستمر ويعزى ذلك إلى ان فتح الشوارع الجديدة واقامة مشاريع التطوير والتجديد الحضري المقترحة أدت إلى ازالة عدد كبير من الوحدات السكنية، كما ان بعضها هدم واعيد بناؤها عمارات استغلت لاغراض تجارية، فضلا عن زحف المناطق التجارية على الاستعمال السكني وتدخلها معه وخاصة الواقعة في الازقة المتصلة بالشوارع الرئيسة.

جدول رقم (١)

مؤشرات سكانية وسكنية عامة عن مدينة النجف القديمة للاعوام (١٩٧٣،١٩٨٧،١٩٩٧)

المؤشرات	١٩٧٣	١٩٨٧	١٩٩٧
عدد السكان (نسمة)	٤١٥١٤	٢٠٦٩٦	١١٠٣١
عدد الوحدات السكنية (مسكن)	٤٢٥٠	٣١٢٥	٢٤٥٧
عدد الاسر (اسرة)	٤٩٣٨	٣٢٢٣	١٩٨٢
المساحة السكنية الصافية (هكتار)	٣٨.٢٥	٣٧.٩١	٢١.١٩
نسبة المساحة السكنية الصافية إلى المساحة الكلية للمدينة القديمة	٥٨.١	٥٧.٥٤	٣٢.١٦
الكثافة السكانية الصافية (شخص/هكتار)	١٠٨٥.٣	٥٤٥.٩	٥٢٠.٥
الكثافة السكانية الصافية (مسكن/هكتار)	١١١.١	٨٢.٣	١١٥.٩
معدل شخص /مسكن	٩.٨	٨.٣	٦.١
معدل شخص / اسرة	٨.٤	٧.٩	٥.٥
نسبة الاشغال الفعلية من الوحدات السكنية	٩٩	٩٨	٧٢.٨

المصدر: أعتمدت مؤشرات عام ١٩٧٣ على المصدر: محسن عبد الصاحب المظفر، " مدينة النجف الكبرى – دراسة في نشأتها وعلاقتها الاقليمية "، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٢، أما مؤشرات العامين ١٩٨٧ و ١٩٩٧ فكانت على الإحصاء السكاني العام في ذلك العامين.

فالمناطق السكنية في مدينة النجف القديمة، عامه، تعاني من الازدحام بسبب الكثافة السكانية العالية التي تعود إلى احتضانها للمهاجرين (وذلك لاعتبارات اجتماعية واقتصادية) فضلا عن السكان الأصليين، ولكن زيادة المهاجرين في السنوات الأخيرة جعل الهياكل العمرانية لمعظم وحداتها السكنية عاجزة عن الاستمرار في تلبية المتطلبات الصحية الطبيعية لمعيشة الانسان، وذلك لتهرؤها وباستمرار، اذ بلغت نسبة الاشغال الفعلية ٧٢.٨٪، فضلا عن تدهور المستوى البيئي والعمراني للمنطقة بشكل عام بسبب الضغوط العديدة التي تتعرض لها البيئة السكنية مضافا إلى انعدام الصيانة الدورية اللازمة لها من قبل ساكنيها بحكم دخولهم ومستوياتهم الاقتصادية المنخفضة.

وفي دراسة مسحية اجريت عام ١٩٨٣ ظهر ان ٧٠٪ من الوحدات السكنية

بحالة انشائية وعمرانية دون المستوى المقبول غير ان ٥٥٪ منها بحاجة إلى اجراءات للصيانة والحفاظ على نطاق واسع لاعادة تأهيلها إلى السكن من جديد، في حين تطلب ١٥٪منها اعادة التطوير لان الصيانة اصبحت غير مجدية لها [٢٦] .

وتتكون المناطق السكنية في مدينة النجف القديمة من اربع محلات سكنية تحيط بالمرقد وتحتشد حول الضريح على شكل استطالة بسبب خصائص الموضع، وهذه المحلات هي:

أ - محلة المشراق، وتشغل الزاوية الجنوبية الشرقية من المرقد وهي اقدم محلات النجف القديمة وكانت تعرف سابقا بمحلة (العلا).

ب- محلة العمارة، وتقع شمال محلة المشراق وتحتل الزاوية الشمالية الغربية من المرقد.

جـ- محلة الحويش، وتطل على الزاوية الشمالية الغربية من المرقد وتقع الى غرب محلة العمارة.

د- محلة البراق، وتشرف على الزاوية الجنوبية الغربية من المرقد وتقع الى الجنوب من محلة الحويش.

والجدول رقم (٢) يبين كذلك الانخفاض في عدد السكان والوحدات السكنية على مستوى المحلات السكنية واعتمادا على الاحصاء السكاني لعامي (١٩٨٧) و(١٩٩٧).

جدول رقم (٢)

مؤشرات سكانية وسكنية عامة عن المحلات السكنية الاربع لمدينة النجف القديمة لعامي (١٩٨٧و ١٩٩٧)

المحلات / السنوات / المؤشرات	المشراق		البراق		الحويش		العمارة	
	١٩٨٧	١٩٩٧	١٩٨٧	١٩٩٧	١٩٨٧	١٩٩٧	١٩٨٧	١٩٩٧
عدد السكان (نسمة)	٦٦٩٧	٢٤٢٢	٤٢٨٢	٢٧٧٦	٦٩٩٢	٣٩١٨	٢٧٢٥	١٩١٥
عدد الوحدات السكنية (مسكن)	٤٧٥	٤٣٨	٧٧١	٦٦٣	١٢١٥	٩٦٠	٦٦٠	٣٩٦
عدد الأسر (أسرة)	٩٤٥	٣٥٨	٦٧١	٤٩٩	١١٣٤	٧٥٧	٤٧٣	٣٦٨
المساحة السكنية الصافية (هكتار)	٢.٥	٣.٤٥	٩.٤٨	٥.١٤	١٣.٩٣	٨.٤٤	٩.٣	٤.١٦
الكثافة السكانية الصافية (شخص/هكتار)	١٢٨٧.٨	٧٠٢.١	٤٥٥.٥	٤٥٠.١	٥٠٣.٠	٤٦٤.٢	٢٩٣.٠	٤٦٠.٣
الكثافة السكنية الصافية (مسكن/هكتار)	٩١.٣	١٢٦.٩	٨١.٣	١٢٨.٩	٨٧.٢	١١٣.٧	٧٠.٩	٨٨.٧
معدل شخص/مسكن	١٤	٥.٥	٥.٥	٤.٢	٥.٧	٤.١	٤.١	٤.٨
معدل شخص / أسرة	٧	٦.٧	٦.٣	٥.٥	٦.١	٥.١	٥.٧	٤.٩

فالمساكن في هذه المحلات السكنية الاربعة، عامة، تتميز بخصائص فريدة ابرزها ماياتي:

١- المدخل المنكسر للبيت الذي يربط المجال الخاص (المسكن) بالمجال العام (الزقاق).

٢- قلة الفتحات الخارجية او انعدامها في الطابق الأرضي وتغطية فتحات الطابق العلوي بالشناشيل او المشربيات.

٣-بساطة المعالجات المعمارية الخارجية للمسكن تاكيد لمفاهيم الدين اللاسلامي التي تشدد على المساواة وعدم التمييز بين الناس على اساس الغنى والفقر او التركيب الطبقي، في حين يكون الاهتمام بالمعالجات المعمارية للفضاءات المطلة على الفناء الداخلي لتاكيد اهميته في خلق البيئة المريحة اذا لايتوفر فضاء غيره يستجيب لذلك.

٤- وجود الملاقف (البادكيرات) التي تسهم في معالجة الظروف المناخية من خلال

توجيهها عكس اتجاه الرياح السائدة لتجذب الهواء النقي وتعمل على تهوية فضاءات المسكن وتلطيف اجوائه.

٥- وجود الغرف التحتية (السراديب) وهي من الملامح المميزة للوحدات السكنية، حيث بلغ عددها في عام ١٩٧٣ م (٦٠٤٦)[٢٧] سرداباً تتوزع على (٨٦٪) من مجموع مساكن المدينة القديمة بلغ مجموع مساحتها (٤٢٣٢٩) مترا مربعاً تشكل نسبة ٥٪ من المساحة الكلية للمدينة القديمة [٢٨] . ويصل عمقها الى ثلاثة طوابق تحت الأرض وبعمق يترواح بين (٦-١٥) متراً وتصل احيانا الى (٢٥) متر. وتمتد هذه السراديب خارج حدود المساكن احيانا الى ماتحت سطح الازقة او الابنية المجاورة.

٦- وجود ابار عميقة في عدد من هذه المساكن.

من خلال ماتقدم عن حجم وواقع الاستعمال السكني وبسبب خصوصية النسيج العمراني للمدينة القديمة والملامح المعمارية والتراثية المميزة لبعض منه وللخصائص التقليدية المعبرة عن الهوية المحلية للمدينة وعن اهميتها التاريخية والحضارية، فان اعتماد برامج الصيانة وسياسات الحفاظ والتجديد الحضري وتطوير وتحسين شبكات البنى التحتية، هو امر ينبغي ادامته والاهتمام المستمر به.

٣ - استعمالات الأرض التجارية:-

يعد النشاط التجاري في مدينة النجف من ابرز الوظائف التي تمارسها المدينة بحكم موقعها الديني الذي ترتكز عليه الذي كان الاساس في قوة مركزها التجاري كونها سوقا واسعة للتبادل التجاري، ومركزا لتقديم الخدمات لزوار العتبات المقدسة.

وتحتشد في مدينة النجف القديمة (وهي المركز التاريخي لمدينة النجف الكبرى) المؤسسات والاستعمالات التجارية، ومؤسسات الصناعات الخفيفة المرتبطة وجودها بالمنطقة التجارية، وتتوزع بالقرب منها او تتداخل مع بعضها المؤسسات الدينية

والاجتماعية، ان ذلك يفسر (كما ذكر سابقا) العلاقة التكوينية بين النشاطات والفعاليات التجارية والدينية في المدينة القديمة.

فالمناطق التجارية فيها، عامة، تتكون من ممرات طويلة تؤدي جميعها الى المرقد الشريف ومن جهاته الاربع، تقدم خدماتها الى الزوار القادمين الى المدينة، وهي تتميز بنمطين اساسيين هما:-

نمط الاسواق التقليدية:-

تشغل الاسواق التقليدية حاليا نسبة قدرها ١٧,٦٪ من اصل المساحة الكلية فيها بعد ان كانت تشغل نسبة (٢٥٪) عام ١٩٨٧ [٢٩] [٢٣]، وتتجسد فيها السمات التراثية للاسواق العربية الإسلامية التقليدية التي تبدا من المرقد الشريف الذي يمثل قلب المدينة وينتهي عند مدخل احدى المحلات السكنية الاربع.

ان اهم اسواق هذا النمط هو (السوق الكبير) الذي يشكل هيكلا متجانسا ومترابطا مع المرقد الشريف وبقية عناصر الهيكل الحضري، وهو سوق مسقف يترواح عرضه بين (٤- ٦) مترا، ويبتدىء من باب المرقد بخط مستقيم وينتهي الى خارج المدينة القديمة ويفصل بين محلتي البراق والمشراق، حيث اصبح عنصرا مكملا لمراسيم الزيارة ومجالا للترفيه الاجتماعي، وتختلط فيه التجارة مع الصناعات الحرفية التقليدية. ان اهمية هذا السوق فضلا عن كونه من اقدم الاسواق، تكمن في العدد الكبير من المخازن التجارية الموجودة فيه، كما تتصل فيه اسواق ثانوية تخصصية[٣٠].

توجد الى جانب السوق الكبير اسواق تقليدية اخرى تعد محاور تجارية جانبية ترتبط بالمناطق التجارية الرئيسة والمحلات السكنية. وتقود الى البوابات الرئيسة للمرقد وهي سوق المشراق وسوق البراق وسوق الحويش وسابقا كان سوق العمارة الذي ازيل مع جزء كبير من محلة العمارة لاغراض مشاريع التطوير والتجديد الحضري المقترحة للمدينة القديمة.

ان أي تفكير في تطوير مدينة النجف القديمة ينبغي ان لايؤدي الى مزيد من

التفريط بالنسيج التقليدي والاسواق التقليدية بل ينبغي ان يرتبط بالمحافظة عليها مراكز تجارية ممتازة ومناطق تراثية ذات خصائص فريدة ومتميزة.

نمط الشوارع التجارية:-

وهو نمط حديث دخيل على المدينة الإسلامية التقليدية ونظامها العضوي المتراص والمتماسك، وقد عرف في مدينة النجف القديمة منذ عام ١٩٥٤م عندما بدات عملية فتح الشوارع المستقيمة العريضة لتحقيق سهولة الوصول الى المرقد الشريف، التي تمت على حساب اجزاء كبيرة من النسيج التقليدي، مؤدية الى اضعاف هيمنة المرقد على خط السماء فضلا عن تلاشي عنصر المفاجاة التي يتحقق عند الانتقال من الازقة الضيقة والاسواق التقليدية المسقفة الى فضاء الصحن الواسع الذي يمثل الفضاء الحضري الاوسع للمدينة وهذه الشوارع هي (زين العابدين)و (الصادق) و(الرسول) و(الطوسي) حيث تستخدم الطوابق الأرضية للابنية الواقعة بمحاذاة هذه الشوارع للاستعمالات التجارية والخدمية اما الطوابق الأخرى فتحتوي الفنادق والمكاتب المهنية والاستعمالات الخدمية الأخرى.

والى جانب هذين الخطين الاساسيين يوجد نمط اخر اخذ بالنمو والتزايد مؤخرا ويتمثل في المناطق التجارية الممتدة في الازقة المتصلة بالشوارع التجارية الرئيسة والمتداخلة مع المناطق السكنية بسبب الزحف التجاري الكبير، وذلك استجابة للدور الاقليمي المتنامي للمدينة وللحاجات المتزايدة من الانشطة الاقتصادية وخاصة التجارية التي تحتاجها الاعداد الكبيرة من الزائرين والسياح الذين يأمون المنطقة.

٤- استعمالات الأرض لاغراض النقل:-

شغل هذا الاستعمال في مدينة النجف القديمة، بعد عملية فتح الشوارع الحديثة في جسمها منذ عام ١٩٥٤ وتوسيع بعضها في السنوات الاخيرة، نسبة قدرها ٣٤،٩٪ من المساحة الكلية مما ادى هذا الى جذب وتوليد زخم كبير من حركة

المركبات في قلب المدينة وتحميل شوارعها بما يفوق طاقاتها الاستيعابية، فضلا عن تهشيم نظام الحركة التقليدي الذي قاد بدوره الى تزايد الاعتماد على المركبات في عملية التنقل، وبذلك اصبحت محاور الحركةفي المنطقة تتكون من نمطين اساسين: الأول: محاور الحركةالواقعة ضمن النسيج التقليدي للمنطقة (المناطق السكنية) وبضمنه محاور الحركة في الاسواق التقليدية، والثاني:- يتمثل بالشوارع الحديثة المفتوحة في نسيج المدينة.

وهذه المحاور جميعها تلتقي في المنطقة المركزية عند دورة الصحن الحيدري، مضافا الى الطريق الحلقي (شارع صدام) المحيط بالمدينة القديمة. وان هذه المحاور الحديثة ترتبط بدورها بالطرق الرئيسة الخارجية التي تربط المدينة بالمدن الأخرى.

وهنا برزت مشاكل الحركة التي تمثلت بماياتي:-

١. التداخل الكبير بين حركة السابلة وحركة المركبات ومتطلباتها لاسيما في نقاط التقاطع لمحاور الحركة الرئيسة.
٢. الاختناقات المرورية الكبيرة الناتجة عن عجز شبكة الطرق الحالية عن استيعاب الضغط المتزايد عليها، فضلا عن زيادة التلوث البصري والبيئوي.
٣. العجز الكبير في مواقف السيارات المطلوبة.

لقد ادت هذه المشاكل والتناقضات بين انماط الحركة المختلفة الى التاثير وبشكل سلبي في سهولة وانسيابية الوصول للزوار وسكان المدينة على حد سواء والتأثير على شخصية المدينة وبيئتها الحضرية حيث اخذت المركبات تنافس السابلة للحصول على فضاء للحركة (لاسيما حول المرقد الشريف) مما خلق ظروفا غير ملائمة في المنطقة لاتتناسب مع الطبيعة الدينية والمكانة المميزة للمرقد الشريف. مما يفرض على تصاميم مشاريع التطوير والتجديد الحضري المقترحه ان تسعى لمعالجة التمزقات الحاصلة في النسيج الحضري التقليدي التراثي بشكل معاصر، واعادة الحركة القديمة بصورة حديثة من خلال ربط حركة المدينة القديمة وصولا الى

استعادة الكيان المتحد للمدينة.

٣ـ الاستنتاجات والتوصيات:ـ

لقد تم التوصل الى جملة من الاستنتاجات والتوصيات الخاصة بمدينة البحث وكالاتي:-

٣-١ الاستنتاجات:-

١- يعد مرقد الامام علي (عليه السلام) اساس نشوء مدينة النجف وديمومتها، والذي اكسبها اهميتها التاريخية ووظيفتها الدينية المميزة، وكان الاساس التنظيمي لعمران المدينة ومن حوله خططت مواضع الاسواق والمحلات السكنية والانشطة الأخرى.

٢- يعد العامل الديني مولدا للفعاليات التجارية والخدمية ونتيجة لذلك احتلت المدينة القديمة اهمية كبيرة في اطار النشاط الاقتصادي بفعالياته التجارية لمدينة النجف الكبرى، حيث تطورت الوظيفة التجارية بسبب حجم حركة الزائرين وازدياد اعدادهم الوافدة الى المنطقة بشكل مستمر تصل في الايام المخصوصة الى اكثر من مليون زائر، مما انعكس على كثافة الاستعمالات التجارية حول المرقد الشريف وبالقرب منه وتداخلها مع بعض الاستعمالات الدينية والخدمية، منافسة الاهمية الدينية للمدينة، ومن جهة أخرى شغلت ممرات الحركة الحديثة مساحة واسعة من استعمالات الأرض في المدينة القديمة.

٣-امتازت محاور الحركة في مدينة النجف القديمة بنجاحها وحلولها المنطقية كونها امينة وسهلة الوصول ومعالجة بيئيا في حين ادت عملية فتح الشوارع الحديثة الى تغير نمط الحركة في جزء كبير من النسيج التقليدي، بحيث ولدت حركة غير واضحة التوجه تختلط بها حركة المركبات والناس وتفتقر الى المعالجات البصرية والبيئة.

٤- حافظت مدينة النجف آلقديمة على خصائصها العمرانية لمدة طويلة من الزمن

ولكنها تعرضت مؤخرا لتغيرات واسعة افقدتها معظم معالمها العمرانية المميزة بسبب مشاكل التحضر السريع والمفرط.

٥- اضافت مشاريع التطوير والتجديد المقترحة حاليا مشاكل تخطيطية وعمرانية جديدة الى المدينة بسبب عدم تكاملها وتجاهل تصاميمها لاهمية المنطقة وخصائصها الحضرية المميزة، فضلا عن فقدان نسبة كبيرة من الابنية التاريخية المهمة.

٦- اشتركت الابنية الحديثة العالية الارتفاع مع عمليات هدم الابنية المحيطة بالمرقد الشريف من تشوية خط سماء المدينة.

٧- تمتاز الابنية التقليدية المشكلة للنسيج الحضري للمدينة بصورة عامة بالتهرؤ وتدهور الحالة البنائية بالشكل الذي جعل نسبة عالية منها غير ملائمة للسكن بسبب عدم وجود سياسات سابقة للتجديد والحفاظ الحضري وضعف البرامج والسياسات الحالية الخاصة والعامة في هذا المضمار والتي لاتنسجم وحجم الخلل في النسيج الحضري.

٨- يمتاز الطابع المعماري للمدينة حاليا بفقدانه الهوية المميزة له حيث نجد الابنية المطلة على محاور الحركة الرئيسة ذات طرز معمارية غير منسجمة مع المنطقة كما ان عملية شق الشوارع وهدم نسبة كبيرة من النسيج التقليدي وعزل المرقد عن محيطه البشري افقد المدينة خصائصها التخطيطية المميزة.

٣-٢: التوصيات:-

١- ان تنظيم استعمالات الأرض في مدينة النجف القديمة ينبغي ان تصب في تعزيز الترابط بين الجانب الديني والجانب الدنيوي للفعاليات الحضرية، والحد من طغيان الفعاليات التجارية على نمط استعمالات الأرض عن طريق التاكيد على خصوصية المدينة الدينية وخاصة موقع المرقد الشريف ضمن الهيكل الحضري والمحافظة على هيبته ووقاره، ومحاولة تحديد تلك الاستعمالات بما يؤكد الوظيفة الدينية واقتصارها بما له تماس مباشر مع متطلبات حركة الزائرين.

٢- تعزيز اهمية المرقد الشريف الدينية وهمينته على خط السماء والتاكيد على هذه الاهمية خلال اعمال التطوير للمنطقة هذا من جهة، ومن جهة اخرى ينبغي لتحقيق التكامل والترابط بين النسيج التقليدي الموروث للمدينة ومشاريع التطوير على مستوى العمارة، ان تكون تصاميم واجهات الابنية الحديثة منسجمة ومتناسقة مع الطراز العربي الإسلامي التقليدي.

٣-لغرض الحد من تآكل النسيج التقليدي وتدهوره يفترض اعتماد سياسات فعاله للتجديد الحضري وعلى اساس الالتزام بالقواعد المعتمدة في تحديث المدن العربية الإسلامية،وذلك لاعطاء محلات القطاعات القديمة بعدا إنسانيا وليكون لها دور في الحياة المعاصرة للمجتمع.والابتعاد عن الهدم والازالة الكاملة لاجزاء من هذا النسيج مهما كانت المسوغات.

٤- اعادة بناء المناطق المهدمة من المدينة لاعادة كيانها المتحد وتحديد المؤشرات التصميمية لابنية الاملاء وبالكيفية التي تضمن مراعاة الخواص التخطيطية والعمرانية للابنية المجاورة في عملية الاملاء الحضري لتحقيق الملاءمة المكانية والمحافظة على الهوية الحضرية والمعمارية.

٥- ينبغي التعامل مع المحاور الحركية الجديدة بكيفية يمكن بواسطتها اعادة السمة المميزة التي كانت تمتاز بها المحاور التقليدية هذا من جهة،ومن جهة اخرى منع حركة المركبات من الدخول الى المدينة القديمة والوصول حتى ابواب المرقد، وتخصيصها لحركة المشاة فقط، اما حركة المركبات فانها تحدد عند اطرافها اذا تقع مواقف السيارات على الشارع الحلقي (شارع صدام).

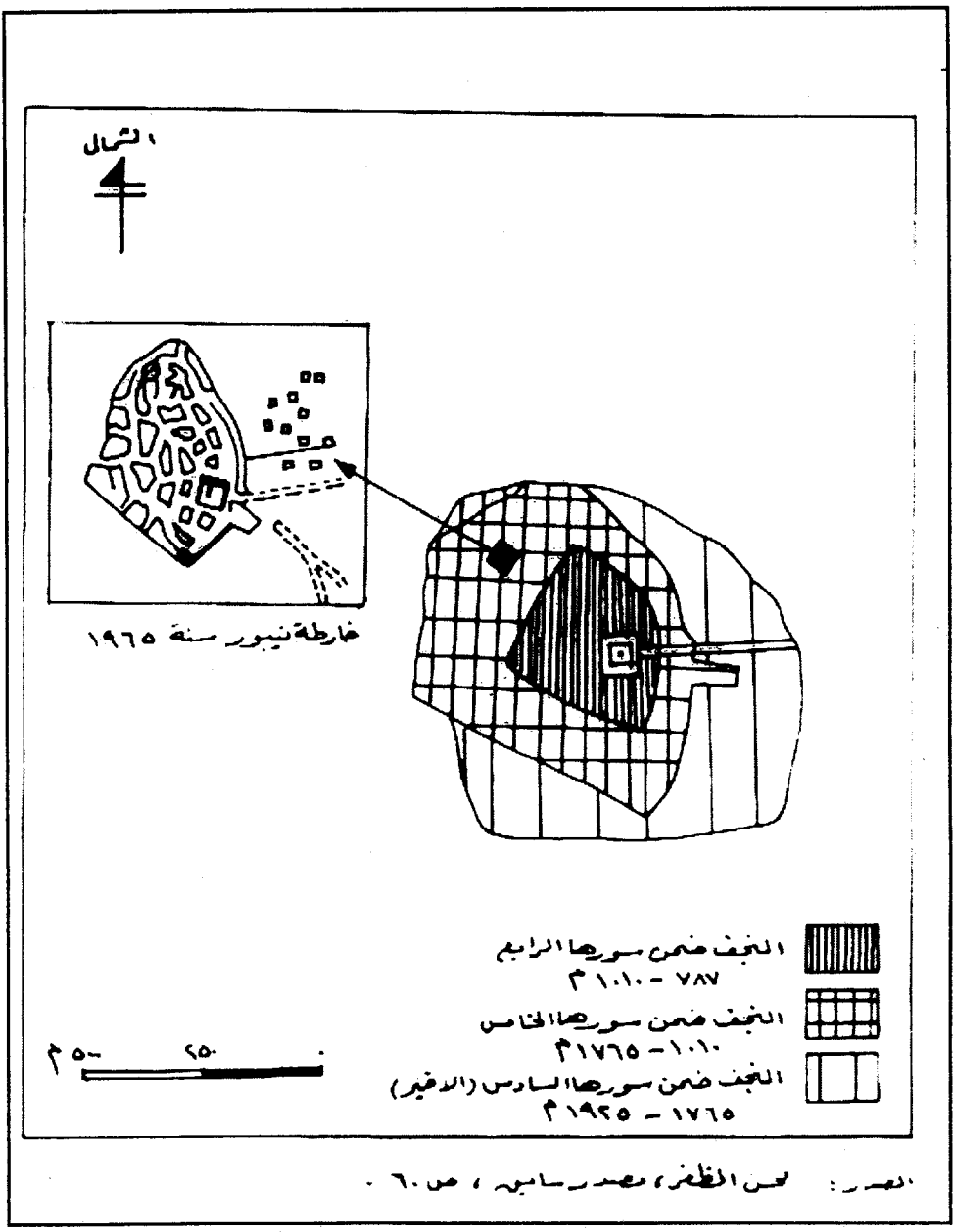

المصدر: حسن الظفر، مصدر سابق، ص ٦٠.

خارطة رقم (١)

مراحل تطور مدينة النجف القديمة منذ اول نشأتها في سنة ٧٨٧م حتى ١٩٢٥م

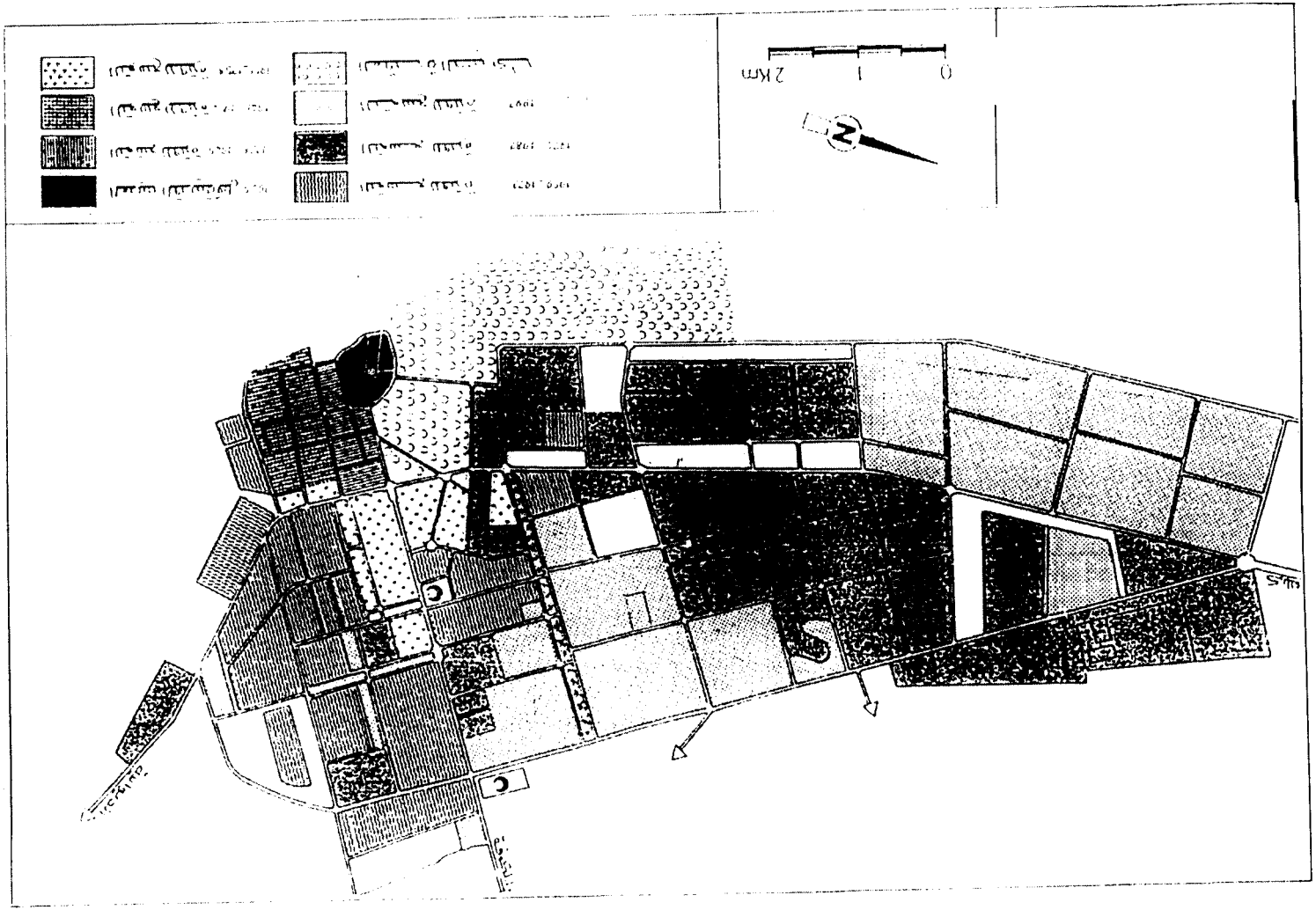

خارطة رقم (٢)

مراحل تطور مدينة النجف الكبرى حتى عام 2000 وموقع مدينة النجف القديمة منها

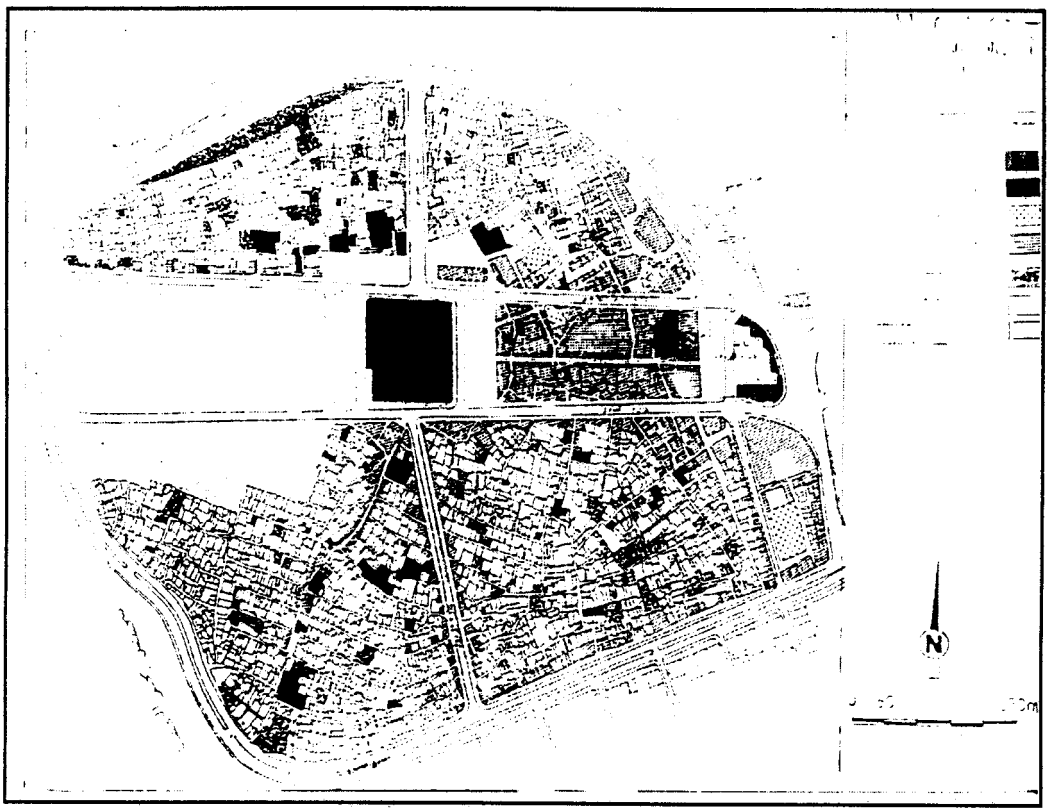

خارطة رقم (٢)
استعمالات الأرض الحالية في مدينة النجف القديمة

خارطة رقم (٤) مشاريع التطوير الحضري المقترحة لمدينة النجف القديمة.

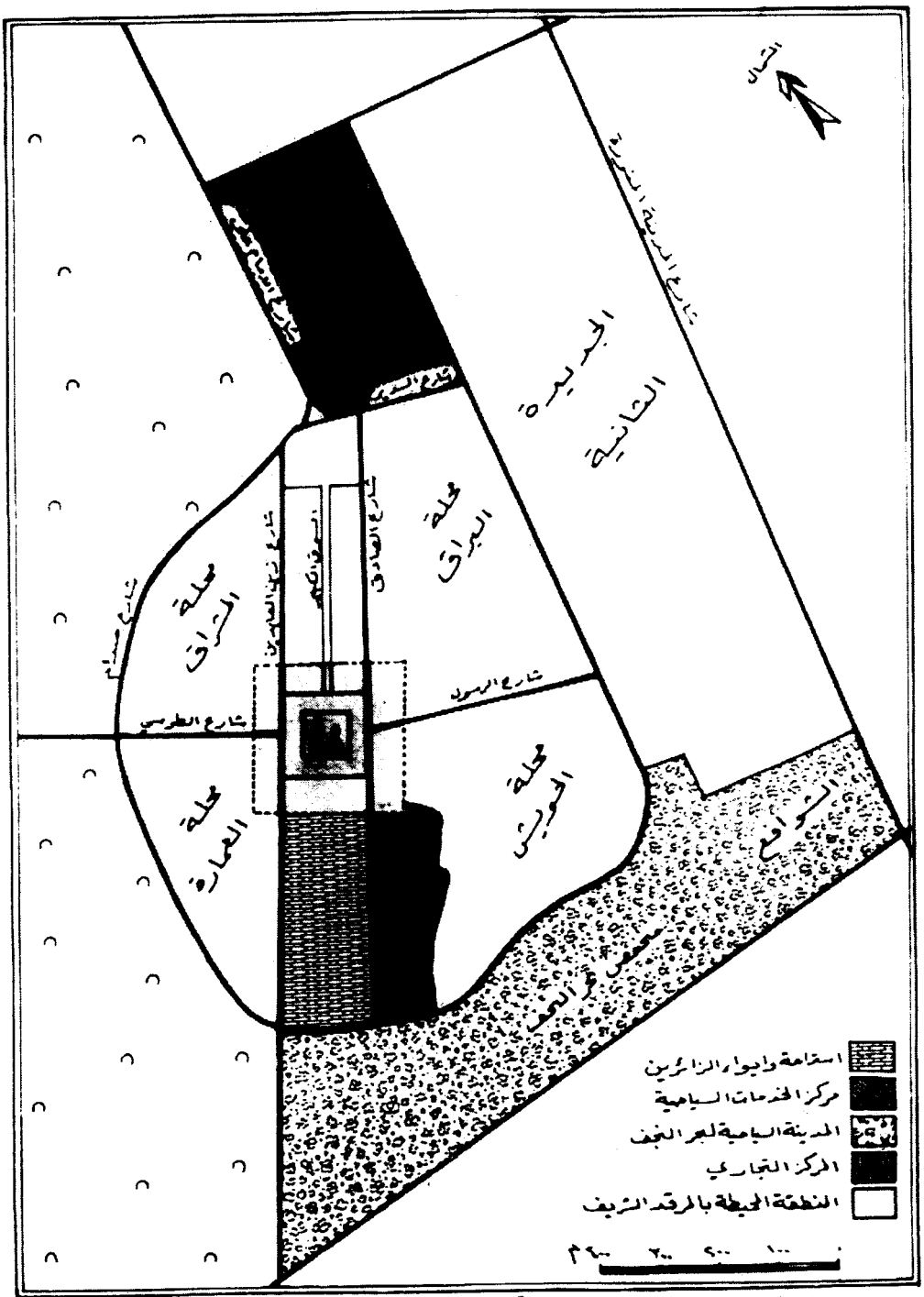

المصدر: هيئة التخطيط العمراني / مشروع تطوير مركز مدينة النجف / ١٩٨٨.

الهوامش

(١) ابن خلدون، المقدمة، الجزء /٣، ص ١١٣- ١١٤.

(٢) راجع تفصيل ذلك: - عبد الرحمن الشيرزي، ((نهاية الرتبة في طلب الحسبة))

- رضاء الدين أبي نصر ابن الإمام إبي فضل الدين الطبرسي، ((مكارم الأخلاق)) المطبعة الخيرية.

- الماوردي، ((الأحكام السلطانية)).

(٣) للاستزادة انظر:-

عبد الجبار ناجي ((المدينة العربية الإسلامية في الدراسات الاجنبية – دراسة نقدية معاصرة))، مجلة المورد، مجلد /٩، عدد/٤/ السنة ١٩٨٠، ص ١٥٠- ١٧٠.

(٤) انظر تفصيل ذلك:

- طاهر مظفر العميد، ((تخطيط المدينة العربية الإسلامية))، دار واسط، بغداد، ١٩٨٦.

- جمال حمدان، ((جغرافية المدن)) القاهرة،١٩٧٧،ص

- مصطفى عباس الموسوي،((العوامل التاريخية لنشاة وتطوير المدن العربية الإسلامية))،دار الرشيد للنشر، بغداد ١٩٨٢،ص

(٥) محمد عبد الستار عثمان،((المدينة الإسلامية))، مجلة عالم المعرفة،١٢٨، مطابع الرسالة، الكويت، ١٩٨٨،ص ٩٦-١١٠.

(٦) المصدر السابق، ص١١٠-١١٧.

(٧) عبد الجبار ناجي،((المدينة العربية الإسلامية في الدراسات الاجنبية))، مصدر سابق،ص ١٦٠.

(٨)عبد العزيز الدوري،((مقدمة في تاريخ صدر الإسلام))، ط/٣،دار الشرق،بيروت، ١٩٨،ص ٨٠

(٩) محمد عبد الستار عثمان، مصدر سابق، ص ٢٥٦- ٢٥٩.

(١٠) راجع تفصيل ذلك:-

Besim selim Hakim ((ARAbic – Is lamhc cities Building and planning principles)). kpt. Ltd.. England . 1986. p. 64.

(١١) محمد عبد الستار عثمان، مصدر سابق، ص ١٩١- ١٩٣.

(١٢) **Besim selim Hakim , Op cit-p.115**

(١٣) يتميز مناخ المنطقة العربية الإسلامية عامة بما ياتي:-

- ارتفاع معدلات درجة الحرارة خصوصا في فصل الصيف.
- تتميز السماء بالصحو وقلة الغيوم اغلب ايام السنة وهذا يعني ان اشعة الشمس تكون مباشرة دون عوائق او تشتت عالي.
- الرياح المحلية غالبا ما تكون محملة بالاتربة والرمال.

- للاستزادة راجع: حيدر عبد الرزاق كمونة،((اثر الرياح في تخطيط المدينة العربية التقليدية، ابحاث الندوة القطرية السادسة، تاريخ العلوم عند العرب، مركز احياء التراث العلمي العربي، بغداد ١٦ - ١٨ حزيران، ١٩٩٠.

(١٤) امثال (سوفاجيه) و (بلانهول) و (جرينباوم) و (ستيرون) و (كريسول) و (مورس) و (اتيجنهوسن). ولكن لم يخل الامر من بعض المستشرقين الموضوعيين امثال (جويتاين) و (مارسيه) و (لابيروس) الذين أشادوا بدور المسلمين في اتخاذ المدن وتشييد المراكز العمرانية الأخرى بما يمكن ان نسميه ثورة في تاريخ التمدن العالمي.

راجع ذلك في:

- عبد الجبار ناجي (مفهوم العرب للمدينة الإسلامية) مجلة المدينة العربية، المنظمة العربية للمدن الاعداد ١٤ - ١٥ - ١٦.
- شاكر مصطفى، ((المدن في الإسلام – حتى العصر العثماني))، ج / ١، ط١، السلاسل للطباعة، الكويت، ١٩٨٨.
- حيدر عبد الرزاق كمونة، المصدر السابق.

(١٥) عبد الصاحب ناجي رشيد البغدادي (الملاءمة المكانية لاستعمالات الأرض السكنية في مدينة النجف)، اطروحة دكتوراه، مركز التخطيط الحضري و الاقليمي - جامعة بغداد، ١٩٩٩، ص٢٥.

(١٦) للاستزادة راجع:

- عبد الصاحب ناجي البغدادي وكريم دراغ محمد العوابد، (النمو المور فولوجي لمدينة النجف - منذ نشأتها حتى عام ٢٠٠٠)، بحث مقدم الى المؤتمر القطري الاول للجغرافية في جامعة الكوفة - كلية الاداب
١٩ - ٢٠ آذار / ٢٠٠١.

(١٧)كارستن نيبور، (مشاهدات نيبور في رحلته من البصرة سنة ١٧٦٥ ترجمة سعاد العمري، مطبعة المعرفة، بغداد، ١٩٥٥، ص ٧٦ - ٧٧.

(١٨) جعفر باقر محبوبة، ((ماضي النجف وحاضرها))، ط /٢، مطبعة الاداب، النجف، ١٩٥٨، ص٢٧.

(١٩) تم احساب مساحة مدينة النجف وحسب المخطط الاساسي المعد لغاية ٢٠٠٠م من قبل الباحث وبالاعتماد على المخططات الأساسية القطاعية حيث بلغت ٦٥٠٠هكتار عدا مساحة المقبرة العامة البالغة ٩١٦.٨ هكتار والمنطقة العسكرية البالغة ٨٣.٢ هتكار وبذلك تكون المساحة الاجمالية لمدينة النجف الكبرى ٧٥٠٠ هكتار.

(٢٠) تشمل مشاريع التطوير والتجديد الحضري المقترحة لمركز مدينة النجف على:

- مشروع مدينة الزائرين بمساحة (٨٠ الف متر مربع) ويقع على جزء من محلتي العمارة والحويش ويشتمل على جزأين هما: مشروع الخدمات السياحية ومشروع استراحة وايواء الزائرين (غير منفذ).

- مشروع المدينة السياحية على بحر النجف بمساحة (٥٣٠ الف متر مربع) ويقع في موضع محلة الثلمة وجزء من منطقة الشوافع ومنخفض بحر النجف (غير منفذ).
- مشروع المنطقة التجارية في شارع الخورنق بمساحة (١٢ الف متر مربع) (غير منفذ).
- مشروع المنطقة التجارية عند مدخل شارع الصادق بمساحة (٢٠ الف متر مربع) (غير منفذ).
- مشروع تعريض دورة الصحن الحيدري باربعة اتجاهات بمسافة (٦٠ مترا) (منفذ).

(٢١) ان ازالة محلة العمارة بأكملها تقريبا لغرض اقامة مشروع مدينة الزائرين وهو احد مشاريع التطوير والتجديد الحضري المقترحة / سببت إلى فقدان ما يقارب الخمسين اثرا ومعلما دينيا وتراثيا فضلا عن اعداد كبيرة من الدور السكنية.

(٢٢) تبلغ مساحة المقبرة القديمة ٣٦١,٧ هكتار فيما تبلغ مساحة المقبرة الحديدة ٥٥٧,١ هكتار.

(٢٣) للاستزادة راجع:

- Gideon Golany, "urban planning for Arid zones", John wiley and Sons Inc., New yourk, 1978.
- ثائر علي محمد، (اثر العوامل المناخية في تخطيط وتصميم المستوطنات الحضرية في المناطق الصحراوية)، رسالة ماجستير، كلية الهندسة / جامعة بغداد، ١٩٨٦.

(٢٤) هي فضاءات مفتوحة في النسيج الحضري للمدينة التقليدية مثالها فضوة المشراق وفضوة الحويش.

(٢٥) منها وجود الفناء الداخلي المفتوح إلى السماء الذي استغل في بعض الاغراض المعيشية بالاضافة إلى وظيفته الأساسية في الاضاء والتهوية الجيدة بدون تلوث لغرف المنزل المختلفة كما انه استخدم كعنصر اتصال وحركة للربط بين اجزاء المنزل المختلفة، وفي حالة تقسيم المنزل او سكنه من قبل اكثر من اسرة يعتبر منطقة منفعة جماعية، كل هذه الميزات حتمت استمرارية استخدامه وظيفا وجماليا ليتناسب وحياة الاسرة المسلمة – التي تقضي معظم اوقاتها وخصوصا النساء.

(٢٦)

Al-Kubisy, F. S"..conservation in the process of urban Renual of Najaf old town- Iraq" PH. D. Thesis, unive. Of Roorkee-India, 1983, P. 101.

(٢٧) ليست هناك احصائية حديثة لكنها عموما انخفضت الى اقل من النصف

(٢٨)محسن عبد الصاحب المظفر، ((مدينة النجف الكبرى –دراسة في نشأتها وعلاقاتها الاقليمة))، دار الحرية للطباعة، بغداد،١٩٨٢ص ٦٣-٦٤.

(٢٩) وزارة الحكم المحلي، المديرية العامة للتخطيط العمراني، مشروع التجديد الحضري لمركز مدينة النجف،١٩٨٨، ص

(٣٠) منها سوق الصناعة، سوق العبايجية، سوق القصابين، سوق المسابح، سوق النعلجية، سوق الصفارين...